المشرق

معرض الرسالات الكاثوليكية في الفاتيكان

بقلم الاديب يوسف افندي المدوّر

ان في اوائل شهر تموز المنصرم قد اتاح الله لي الحظّ بان اكون في جملة الزوّار الذين أمّوا رومة العظمى من مصر للتبرّك بالبابا راعي الاب الاقدس البابا بيوس الحادي عشر وللقيام بالزيارات اليوبيلية في هذه السنة المقدّسة ١٩٢٥ . فحصلنا على مبتغانا من ذلك السفر السعيد من حيث المثول بحضرة قداسة البابا في مقابلة خاصّة جاد بها قداسته وقد مكثنا في حضرته نسمع دُرر الفاظه ونتمتع باللحاظ بمشاهدة نائب السيد المسيح خمساً وثلاثين دقيقة

وقد احتفى بالزوار المصريين كلّ الحفاوة اينما ذهبوا وحيثما حلّوا كما جاء في رسائل نُشرت في بعض اعداد جريدة البشير الغرّاء من هذا الصيف الماضي . وقد كان من بين الاماكن والمزارات الشهيرة التي أمّها الزوّار معرض الرسالات الكاثوليكية الواقع في جانب من حدائق الفاتيكان . ولمّا رأيتُ انّ بزيارة واحدة لا يمكن للزائر ان يقف على كل ما هنالك من المعروضات ذات الاهمّية ولا يُتاح لهُ ان يُمعن النظر في تلك التحف القيّمة التي أُتي بها من اربعة اقطار المعمور لتُعرَض على الملأ اجمع وهي ألسنة مخبرة عن اعمال الرسالات الكاثوليكية في العالم اخذتُ اغتنم كل فرصة تسنح فأؤمّ المعرض واتمتع النظر بما يكون قد فاتني مشاهدته في المرّة السابقة حتى ألممتُ بمعظم الالمام بما اجتمع هنالك من معروضات فنّية وعلمية وتاريخيّة ودينيّة الخ .

وقد احببت ان اشغل بعض اوقات الفراغ بتدوين ما رأت عيناي في ذلك المعرض

الفخيم وما كان لهُ من التأثير على الذهن لأقدّمهُ لحضرات قرّاء الشرق الكرام فيطّلعون بعض الاطلاع على ما هي عليه احوال الرسالات الكاثوليكية من الانتشار وما يؤدّيه رجالها المرسلون من الخدم لاسيما بين اجناس البشر المتوحشين غير مبتغين من اعمالهم سوى خير القريب وخلاص النفوس ومجد الله الاعظم

فهلمّ معي ايها القارئ الكريم نخرج من ساحة كنيسة مار بطرس الى الجنوب فنمرّ اوّلاً تحت قنطرة فوقها ممرّ يؤدّي من الكنيسة الى خزانتها الكبرى (السكرستيا) ثم نسدور حول الكنيسة متّجهين غرباً فشمالاً ، فنصل الى طريق يمتدّ طولاً مسافة تقرب من ٦٠٠ الى ٧٠٠ متر ، فنرى عن يميننا باباً عظيماً وقف عليهِ الحرس البابوي ذو الملابس الزاهية وقد انتضى كلّ منهم رمحه . فذاك أحد مداخل الفاتيكان المؤدّي الى متحف الصور (Pinacothèque) . امّا نحن فنتعدّاه ونسير قوّاً فيؤدي بنا السير الى غرفة قائمة يسار الماشي ، هي غرفة تودَع فيها امتعة الزوّار وبعدها غرفة أخرى ذات مدخل ومخرج جلستْ فيها بعض الراهبات المرتديات ملابس بثوب ذي لون كحلي ، وقد أُنيط بهنّ قبض رسم الدخول الى المعرض واعداد التذاكر

طوابع بريد المعرض الفاتيكاني

في هذه الغرفة تُباع ايضاً طوابع البريد التي عُمّمت للسنة المقدّسة وهي ستة اصناف زاهية الالوان جميلة الشكل . ١) الطابع ذو الخمس ليرات ايطالية بنفسجي اللون باطار برتقالي عليهِ رسم البابا عند دخوله الباب المقدّس ومن ورائه موكب الكرادلة . ٢) طابع الليرة الواحدة بنفسجي اللون ايضاً لكن اطاره أزرق وقد رُسم عليهِ البابا بيده المطرقة واقفاً امام الباب المقدّس ليفتحه ومن حوله الكرادلة . ٣) صنف الستين سنتيماً يمثّل كاتدرائية مار بطرس باون بني قاتم ودائر احمر . ٤) ذو الخمسين سنتيماً لونهُ بني فاتح باطار بنفسجي وقد رُسم عليهِ كنيسة مار بولس البديعة . ٥) طابع الثلاثين سنتيماً عليهِ صورة مار يوحنا اللاتراني كله باللون البني إلّا انّ الدائرة أشدّ قتمةً من داخل الطابع . ٦) أمّا طابع العشرين سنتيماً فعليهِ صورة كنيسة مريم الكبرى باللون القرفي وإطار اخضر . وكل هذه الطوابع تباع

بزيادة خمسين في المائة عن سعر الطوابع الايطالية وترى الناس متألبين لشراء هذه طوابع السنة المقدّسة فمنهم من يستعملها على مراسلاته ومنهم من يحفظها تذكارًا

ها قد دفعنا رسم الدخول وقدره خمس ليرات ايطالية رسماً كاملًا وليرتين فقط لمن يحمل تذكرة الزيارة اليوبيلية فهلمّ نواصل سيرنا بضعة امتار لنبلغ الى مدخل المعرض وهو نفسه مدخل المتحف الفاتيكاني . فالى هذا يمشي الزائر يميناً امّا نحن فنتّجه الى المعرض يسارًا واوّل ما يقع عليه نظرنا لوحة معلّقة كُتب عليها : قسم مكافحة الامراض السارية . فلندخلنّ ها نحن في اوّل غرفة من المعرض فيها نشاهد تأثيرات الحمى الصفراء والجذام والتيفوس

ثم نتقدّم الى الغرفة الثانية فاذا هي حافلة بالتآليف القديمة لمكافحة الحشيات مع مجموعة كبيرة من كتب عصريّة ألّفها المرسلون في الموضوع نفسه وهنا يقع النظر على فخذ وقدم أُصيبا بالمرض الفيليّ وهو نوع من الجذام يجعل الجلد جاسياً متقلصاً كجلد الفيل . ونُشاهد ايضاً امثلة من اذرع وسيقان من شمع تمثّل الامراض الجلديّة المنتشرة ما بين السودانيّين : حبوب وقروح ناخرة حتى العظم ورسوم تمثّل الانسان الابيض وقد علا جسمهُ بزورٌ حمراء لا تلبث ان تتحوّل الى قروح شنعاء . واذ نشعر باشمئزاز من هذه المناظر فلننتقل الى غرفة ثالثة فنجد انفسنا امام محفوظات من ديدان وذباب وقمل وحشرات أخر ممّا له خاصية نقل الامراض وهنا نرى المكروبات مجسّمة ومكبّرة وبجانبها زجاجات محفوظ فيها انواع ديدان الامعاء . وفي جهة من هذه الغرفة يقع النظر على بعض اجزاء الجسم ممثّلة بالشمع ايضاً وقد أُصيبت بالحبّ الافرنجي فيُرى مفعول هذا الداء الوبيل قبل معالجته بالسلفرسان وكيف يبرأ المصاب وما يبقى على جسمه من آثار المرض بعد المعالجة بالدواء المذكور . والى جانب هذه الامثلة نرى امثلة لاطفال أُصيبوا بالمرض من والديهم وتمثّل لنا كيفيّة انتقال الداء بالامعاء

وان تقدّمنا الى غرفة اخرى وجدنا فيها انواعاً من الثعابين والحيات مصونة بأوعية زجاجية ثم يبلغ بنا السير الى قاعة الادوات الجراحية ومختلف العلاجات التي تُستعمل لهذه الامراض . وفي هذه الغرفة صندوق زجاجيّ عرضه ذراعان وطوله نحو ثلاثة اذرع وارتفاعه ما يقلّ عن الذراع قليلًا . في داخله تمثيل واحة انتشر فيها

المرسلون ما بين الزنوج يعالجون المرضى ويطعمون الصغار ويوزعون القوت . والى جانب من هذا الممثل صورة تبين لون الجسم بعد الاصابة بالهواء الاصفر فيسي قاتماً مزرقاً محمراً . وبعد هذا نصل الى غرفة عُرض فيها أمثلة من البراغيث وبينها البرغوث الناقل للطاعون يعلو جسمه وَبَر يجعل شكله وهو مكبَّر كشكل القنفذ . وهنا ايضاً امثلة من الجرذان الناقلة للطاعون ثم الجُدَري بنوعيه الاصفر والاسود وهذا قد تكون نتيجتهُ العمى وتشويه الوجه والجسم مما يقشعرّ لمرآه البدن

وبعد هذا نبلغ الى غرفة الامراض السارية في المستعمرات الايطالية وفيها ايضاً نماذج من ضروب النبات الذي يستخرج منه المرسلون ادوية العلاج لتلك الادواء . ثم نتقدم فنبلغ الى غرفة امراض الاطفال فنشاهد فيها تماثيل اطفال تغطّت اجسامهم بانواع القروح واصيبت اعينهم بالرمد الصديدي . وهنا يقع النظر على تماثيل مرضى أصيبوا بالبرص فمن ارجل وايدي تخرها الداء الى اوجه مشوَّهة واصابع مبتورة . وبينهم مرسلون اتصلت اليهم العدوى وبدأ الداء ينخر اجسامهم فتشعر اذ ذاك بقشعريرة وتفر من هذه المناظر . فنخرج عَلّنا نشاهد ما هو اقلّ ارعاباً فندخل الى غرف امراض السكّر والزلال والسلّ بانواعه وهنا نرى يداً قد قبضت على عنق ثعبان فخنقتهُ وقد كُتب تحتها : يجب غلبة السلّ كما يجب قتل الافعى القتالة . ومجموع غرف هذا القسم ١٦ غرفة وقاعةٌ قد عُرض فيها جميع صنوف الاوبئة والامراض التي يعرّض المرسلون انفسهم لاخطارها في ادائهم الخدم الروحية والزمنية للمصابين بها وفي قيامهم بالواجب الذي انتدبوا انفسهم لادائه

قسم افريقية

واذ انتهينا من قسم الامراض فلنخرج ونتجه يميننا فنبلغ الى قسم افريقية فنرى امامنا سوقاً تمتدّ يميناً ويساراً فاذا هو اولاً معرض ﴿ مرسلي الروح القدس ﴾ في افريقيا الوسطى قد عُرض فيه منسوجات هاتيك البلاد واشكال احذية وملابس واعمال نجارة وحدادة وآثار قديمة . ثم معرض ﴿ الكونغو البلجيكي ﴾ ومن معروضاته ملابس وامتعة بيتية وطنية حراب تروس اثمار جافة نبات الفول السوداني والدخن والقطن ثم سن الفيل الخام (غير المصنوع) وهناك تماسيح وعصي

وقبضات ومسابح صنعت كلها من سن الفيل

ومن هنا نتقدم الى ﴿ معرض اليسوعيين ﴾ جنوبي افريقية فنشاهد فيه ريش النعام والتماسيح والحيّات المصبَّرة ونماذج البيوت المبنية من قش واشغال يدوية وتطريز نحيف وكلها من صنع تلاميذ مدارس المرسلين وجلود حيوانات غريبة

ثم نواصل السير فنقف على معروضات الآباء ﴿ البندكتيين وكهنة القلب الاقدس وآباء سيدة الجبل بلا دنس ﴾ فنرى في اعالي هذه الامكنة رسوم الرؤساء العامّين على هذه الجمعيات ورؤساء الرسالات ومنهم اساقفة كسيادة المطران انطونيو استباني النائب الرسولي في اقليم بحر الغزال من اعالي السودان والمنسنيور قنياتو المدبر الرسولي في الاوغندة وقد نلتُ شرف المعرفة بهذين السيدين وهما يُحسنان العربية كاحد ابنائها . ومن بين معروضات هذه الاقسام مما يستوقف النظر انواع السلاح الابيض لزنوج تلك البلاد ومنسوجات مرصَّعة بالخرز الملوّن وبينها سنُّ فيل طولهُ مترات ثم تمثيل الالعاب الوطنية والرقص السوداني

ثم نتقدم واذا نحن في القطر المصري امام معروضات ﴿ السالزيان والآباء الافريقيين الليونيين ﴾ فنشاهد الاحذية الصفراء المصرية التي يسميها الوطنيون «بالبلغة» وغيرها من مصنوعات مصر ورسوم يدوية زيتيَّة وقد رُفع بينها رسم زيارة جلالة الملك فؤاد الى مدرسة السالزيان بالاسكندرية . ومرسلو افريقيا الليونيون قد عرضوا رسوم مراكزهم وكنائسهم التي في البلاد المصرية وما لراهباتهم الملقبات براهبات سلطانة الرسل من المدارس والملاجئ وقد ضمّوا الى معروضاتهم المصرية آثار من ليبريا ونواحي نيجر كامتعة منزلية واشغال يدوية من سُبح وصلبان ودمى من العاج

وبعد ان ننتهي من هذا الحي ننتقل الى حي آخر فاذا نحن ما زلنا في افريقيا . الّا اننا نشاهد امامنا معروضات ﴿ اليسوعيين في مداغشكار ﴾ هنا امثلة من مساكن الوطنيين وامتعتهم المنزلية ، آلات موسيقيَّة ، منسوجات حربية ، اشغال نسائيَّة نحيفة ، طيور وتماسيح ووحوش محنَّطة قطع معدنية واحجار كريمة ، انواع الخشب والحجارة الملونة ؛ الذرة السوداء والبن ؛ نموذج من كيفية عقص شعور النساء

ثم يستلفت نظرنا في قسم ﴿ البندكتيين ﴾ مشهد مقتل المطران النائب الرسولي

الاول مع اخرين وراهبتين بيد الزنوج المتوحشين في ١٤ اب سنة ١٩٠٥

ومن بعد هذا نمرّ امام معروضات ﴿ الكبوشيين في دار السلام والآباء البيض ورهبان الثالوث الاقدس والفرنسيسكان في ليبيا ومصر والحبشة والاريتريا ﴾ وكل هذه المعروضات على نمط واحد بوجه التقريب من مصنوعات يدوية واسلحة وملابس وطنيّة ورسوم وآلات موسيقيّة الخ . وبعدها نبلغ الى معرض ﴿ اليسوعيين في مصر ﴾ فنرى فيه رسم مدرسة العائلة المقدسة ورسم قدماء التلامذة وقد كان من جملة الزوّار المصريين عدد من اولئك التلامذة فسرّوا كثيرًا لدى مشاهدتهم صورهم معروضة في هذا المعرض الفخيم

قسم آسية

واذا انتهينا من هذه الاقسام فلنتقدم قليلًا واذا نحن في العراق في معرض ﴿ الآباء الكرمليّين ﴾ فنرى الزوار متكأكئين يزدحمون لمشاهدة تماثيل كبيرة تمثل انواع الملابس في ما بين النهرين والعادات القوميّة كقرى الخيف والتدخين والتارجيلة والالعاب كالمنقلة والداما . وفيه يشاهد ايضاً تمثيل النساء يهتممن بامور بيوتهنّ وتربية اولادهنّ وبينهنّ من يرتدين الحبَرات واحدة تهيّئ الطعام واخرى تربط طفلها في سريره لتنيمه . فالواقف امام هذه المشاهد يخال نفسه في بيت من بيوت بروما وعلى منضدة في هذا البيت مراوح من ورق النخل . وقد نسجت بحيث يُقرأ في نسيجها بالعربية : يحيى قداسة البابا . ثم التجارة وطريقة وضع البضاعة في الحوانيت . ثم الصناعة : النسج والخرط والخياطة والاكل في المطاعم الوطنيّة . ثم مثال من الحياة في الفلاة والمعيشة البدوية في الخباء . هنالك «جاروش» وامرأة بدوية جالسة تجرش البرغل . الحراثة بالادوات الوطنيةوغزل الصوف ونسج القطن الخ

فاذا خرجنا من معرض العراق ندخل في ﴿ قسم الهند والهند الصينيّة واليابان ﴾ وهنا نرى مصنوعات مدارس المرسلين على مختلف اجناسهم : ازهار لتزيين الكنائس صُنعت من صدَف اللؤلؤ وصفحات لؤلؤية عليها رسم قداسة البابا شريط احمر كُتب عليه بقطع صدفية : السنة المقدسة بيوس الحادي عشر بالايطالية والافرنسية . باقة ازهار صناعية محيطها ١٤ امتارًا وقد قام بصنعها ١٠٥ تلاميذ ورفعوها تقدمة للاب

الاقدس في معرض هذه السنة . وفي معروضات رسالة الآباء الفرنسيين نشاهد ما بين الامثلة للعادات القومية في الدين النسائي يقصّ شعورهنّ بشكل لطيف مستحسن فلا تملك أن تهتف معي : ربي اسألك ألّا تسمح بان تتّصل بهنّ موضة قصّ الشعر . وما بين معروضات اليابان بدلة قدّاس نفيسة بيضاء اللون مع توابعها صنعتها نساء الاتحاد الكاثوليكي الياباني تقدمةً لقداسة البابا

قسم اميركا واوقيانية

ثم ننتقل الى قسم جزائر الفيليبين فنجد من جملة التحف التي عرضها المرسلون اليسوعيون مائدة مستديرة من الخشب الاحمر قُطرها متران و ٧ سانتيمترات وهي قطعة واحدة مع ارجلها الاربع — ومن هنا نبلغ الى قسم الكبوشيين من بورنيو (Borneo) ومرسلي الكلمة الالهية في ستيل (Steyl) ففي هذا القسم يستوقف نظرنا انواع الفراش المختلفة الالوان الزاهية وهي كبيرة الحجم بينها فراش دود الحرير بحجم الوطواط ودودته طول الاصبع السبّابة وثخانته فلا يتمالك الناظر الى هذه الحشرات والهوامّ الظريفة ان يهتف بتسبيح الخالق العظيم

ثم يؤدي بنا المسير الى الموقف الاخير من هذا القسم وهو معرض الآباء المرتيين وهنا نرى مشهدين مؤثرين يملكان شواعرنا ألا وهما صورة استشهاد الاسقف ايبالّ بيد الكثيباليين وصورة مقتل كاهنين وأخ بيد هؤلاء ايضاً وهم يشوونهم ويأكلون لحومهم . وبجانب هذا الموقف موقف آخر ليس باقلّ منه قيمة ألا وهو معرض رسالة القلبين الاقدسين في مولوكاي : تمثيل مستشفى البرص للاولاد فيه يُشاهد احد الآباء وهو الذي اشتهر بالاب داميان مصاباً بالبرص ممدّداً على سرير الموت

واذ نكون قد انتهينا من هذا الجانح وقد تعبت اقدامُنا وشعرنا بشيء من الضيق فنسيل الى الراحة فنخرج واذا نحن في باحة متسعة تظللها الاشجار الباسقة فُرشت ارضها بالحصى البيضاء وقد وُضع في جوانبها مقاعد للاستراحة وهي تشرف على حدائق الفاتيكان حيث يتنزه قداسته في الساعة الخامسة من مساء كل يوم . والى جانب من هذه الباحة مقهى يجد فيه الزائرون مسع القهوة كل انواع المشروبات والمرطبات باسعار متناسبة مع اهمّية المكان

وفي ساحة المعرض ثلاثة اجراس حديدية قديمة قد علاها الصدا اثنان منها خارقان في الكبر والثالث صغير عليها رسوم صينية وثنية وقد حصل عليها المرسلون بطريق الشراء

قسم فلسطين وسورية

ها قد اخذنا قسماً من الراحة وعادت الينا قوانا فهاجت بنا عاطفة الشوق الى مشاهدة ما بقي من المعرض . فلنتقدم شرقاً فنبلغ الى الجانح الثاني من المعرض وهو على محاذاة المتحف الفاتيكاني . فاول ما يقع عليه نظرنا ومتى دخلنا اسم « الارض المقدسة » فليتصور القارئ الكريم ما امكنه التصور اي شعور واية عاطفة يستولبان علينا لدى قراءتنا اسم بلادنا ومشاهدتنا لآثارها وتماثيلها . ففي الغرفة الاولى ﴿ لرهبان الارض المقدسة ﴾ شاهدنا في ارض الغرفة خارطة فلسطين مجسمة بثلاثة امتار طولاً ومترين ونصف المتر عرضاً على وجه التقريب تبتدئ من بيروت شمالاً الى حدود غزة جنوباً يعلوها لبنان وقمة صنين وجبل الشيخ يتخللها نوطة دمشق والبحر الميت والاردن ثم القدس وبيت لحم وغيرهما من مدن فلسطين الكبرى وما بين مجموعة بيوت القدس يميز الناظر قبتي كنيسة القبر المقدس . وقد وقف حذاء هذه الخارطة قسيس فرنسيسي يحسن اللغات العربية والافرنسية والايطالية والانكليزية وهو اورشليمي الاصل وبيده هراوة طويلة يشرح للزوار مقامات هذه الخارطة مشيراً اليها بهراوته . والى الدائر على مناضد متفرقة نماذج الكنائس الكبرى ككنيسة القديسة هيلانة في بيت لحم وكنيسة القيامة في القدس والكنيسة الجديدة التي بُنيت مؤخراً في بستان الجثمانية والجامع الاقصى وكلها صُنعت من رقاق الخشب تمثل تلك الكنائس داخلاً وخارجاً أتم تمثيل . والى الجدران خزانات تحوي انواع الملابس الوطنية للرجال والنساء من سراويل الجوخ والقنابيز الحريرية والكوفيات وعقالاتها والعمائم وغيرها من الملابس التي حلّت اليوم محلها الثياب الافرنجية

وهنا بعض الاقمشة من نسيج الزوق ودمشق

الغرفة الثانية للآباء الفرنسيين ايضاً : مخطوطات وكتب قديمة ورسائل بين سلاطين وملوك شرقيين وبعض بطاركة وباباوات بالسريانية والارمنية والعربية

والمنغولية والصينية وكثير غيرها من الشرقين الاقصى والادنى . ومما يستلفت النظر بينها رسالة بالكرشوني « من يوحنا الحصروني رئيس كهنة حلب ووكيل البطريرك اسطفانوس (الدويهي) الى الاب المكرَّم والحبر المفخم الرئيس فيلكس الكرملتاني» تاريخها ١٩ ت٢ سنة ١٦٧٨ وهي مسهبة النص دقيقة الحروف فلم يسعنا الوقت لمطالعتها. ثم رسالة اخرى بالكرشوني ايضاً من البطريرك اغناطيوس اندراوس بطريرك السريان الى رئيس الكرمليين المطاع» ١٦٧٣ . هذا خلا ما هناك من رسوم الاديار والكنائس التي انشأها ابناء مار فرنسيس في فلسطين والآثار الدينية التي قاموا على حراستها

الغرفة الثالثة في اعلى الجدران صور استشهاد المرسلين بيد الاتراك وهي ألسنة ناطقة بما كان ينال اولئك رُسل الرحمة من التعذيب كالحرق وبَثْر الايدي والصلب وضرب الاعناق بالفؤوس . وفي خزائن على اسفل الجدران وفي وسط الغرفة جُمعت ملابس اولئك الشهداء وآنية التقديس التي كانوا يستعملونها مع بعض رسائل كانوا قد تبادلوها مع رؤسائهم واخوانهم

الغرفة الرابعة — عُرض فيها امثلة من اجناس البشر التي هاجرت الى الاوقيانوسية مع تواريخ هجرتهم وعددهم في اوَّل عهدهم

الغرفة الخامسة — فيها « الكبوشيين واليسوعيين ورهبان الفادي والمريميين ورهبان سيدة الجبل بلا دنس والفرنسيسيين من اميركا وكندا والفيلبين » نماذج مصنوعات وتحف وملابس ومنسوجات وحيوانات مصبَّرة وآثار وتماثيل اصناف البشر الذين يبشرونهم بالانجيل ما لا يحيط به وصف واصف

الغرفة السادسة — هي معرض الخرائط الجغرافية منها ما هي مجسَّمة ومنها ما هي مرسومة رسماً تدلّ المتأمل على انتشار المرسلين في العالم بين جميع اجناس البشر . وهنا ننتهي من هذا الجناح فنسير يسارنا في ممشى متسع يؤدّي بنا الى الجناح الآخر

ففي المدخل معروضات تختصّ « بالآباء الدومنيكان » ومن بعدهم غرفة كبرى فيها تُحف خاصة « بالسالزيان والكبوشيين والفرنسيسيين » ايضاً وفي وسط هذه الغرفة تمثال عظيم المكرَّم دون يوحنا بوسكو صاحب جمعية السالزيان وحوله الاولاد يلتمسون الإغاثة . وهنا تمثيل قرية انتشرت فيها راهبات سيدة المعونة يعلّمن ويهذّبن ويزرعن بذور الكلمة الالهية ويوزعن الصدقات والملاجات وعلى رفّ عالٍ

يرى الزائر امامه عاملة مصغّرة محيط جسمها ٧٠ سنتيمترًا والى جانبها اصناف الوحوش الاميركية وبعض السلاحف الضخمة يحفظها التحنيط ثمّ قطعاً معدنية غشيمة ذات الوان زاهية وانواع الذرة العجيبة الحجم واللون ومنها نوعٌ اسود اللون ثم اصناف الاسلحة النارية والبيضاء والقوس والسهم التي يستعملها سكان هاتيك البلاد القاصية ثم الرسوم اليدوية من صنع تلامذة مدرسة السالزيان وامثلة من خطوطهم الافرنجية ودفاتر فروضهم واشغال البنات التطريزية. وبينا نحن منهمكون بامعان النظر بما امامنا اذا بنا نلتفت الى الوراء فنرى قبالة من الحُمر رجالًا ونساء جلس بينهم كاهن فرنسيسي يعلمهم التعليم المسيحي وقد راعهم الصليب ففغر احدهم فاه إمّا اندهاشاً واما اعجاباً

واذ ننتقل من هذا القسم نبلغ الى وطننا المحبوب ﴿سوريا ولبنان﴾. ها نحن امام معروضات ﴿راهبات القديس يوسف وراهبات الناصرة﴾ فنشاهد فيها رسوماً وتصاوير وتخاريم وتطريزات وملابس وطنية للاهالي. ثم نتقدّم الى حيث نرى كتباً مفتوحة من سريانية وعربية وافرنجية وارمنية الخ وبذا بها مطبوعات المطبعة الكاثوليكية ﴿للآباء اليسوعيين في بيروت﴾ يعلوها رسم كنيسة القديس يوسف وبجانبها الشعار البابوي، طرزًا بخيوط الذهب والفضة بانامل ﴿راهبات القلبين الاقدسين﴾. وهذا رسوم اخرى لابناء الاخويات التي بادارة اليسوعيين وصور اديار عديدة كدير غزير وزحلة وبكفيا وغيرها ولاسيما صور المكتب الطبي الفرنسوي

وبينا نحن منشغفون بمشاهدة بعض آثار تذكرنا الوطن المحبوب اذا بنا نرى جمعاً من الزائرين تألّبوا حول صورة وعلى وجوه بعضهم امارات الدهشة والنفور واذا هي صورة «لبنان في حالة حبور» كما كُتب تحتها. لان تلك الصورة تمثل شبان اللبنانيين يرتدون الملابس العربية والوطنية والمدّسات في اوساطهم والخناجر مستلّة في ايديهم والسيوف منتضاة في ايدي الآخرين والبنادق في اكتاف بعضهم وقد تمنطقوا بحزامات محشوّة فشكاً وهم واقفون والاقداح في ايديهم والخمّار يصبّ لهم النبيذ وبعضهم يكرع كوبه. وعلى رأينا انهُ كان يمكن الاستغناء عن هذه الصورة وابدالها من غيرها مما يمثل الصانع او الفلّاح او رسوم اجتماعات في الاعراس اللبنانية او الرقص اللبناني اللطيف؟

وهنا ترى الافرنج يقفون معجبين بالاركيلة وخرطومها (زبيجها) الطويل ذي الخيوط الذهبية وبعضهم يسأل كيفية استعمالها . والى الامام ترى الادوات النحاسية المنقوشة والمخرّمة وتشاهد العود والقانون والدفّ والارغن القصبي وغيرها من آلات الموسيقى السورية . وفي وسط هذه المعروضات صورة دراويش متن يلبسون على رؤوسهم لبّادة طويلة وهم يرقصون رقصاً لطيفاً جامعاً بين الفنّ والادب . (قلنا) اين هذا من «افراح لبنان» المعروضة هنا !

وفي قسم ﴿الكبوشيين﴾ في بيروت مصنوعات ايتام لبنان : كراسي مخرّمة ومنقوشة ومطعّمة بالصدف يفعم مرآها القلب سروراً . وفي قسم ﴿الكرمليين الحفاة﴾ بدلات للقدّاس من صنع راهبات الزيارة في الزوق ونحاس منقوش نقشاً بديعاً من صنّاع الاسكندرونة وكاسات لصاغة لبنانيين . وهنا ارزة مطرزة تطريزاً جميلاً فاي لبناني يمرّ امامها ولا يقف لحظة يحيي فيها رمز وطنه المفدّى ؟؟

ومن بين معروضات ﴿جزائر الارخبيل﴾ يستلفت النظر صورة القديس يوحنا المعمدان والاوّل وعلة يخيل للناظر انها صورة زيتية ولكنه اذا دنا منها وجدها مصنوعة بصنوابع البوسطة على مختلف الوانها واشكالها . لا يليق ان يقف . لا تُمدّ يد صانعك !

وبعدها نواصل السير فنبلغ الى اقسام ﴿آسية الداخلية﴾ فنشاهد ما يقف عنده النظر : مثالاً لمشغل ومدرسة مار يوسف مع مدخلها والحوش امامها والكنيسة تعلوها قبّة بديعة الصنع كل ذلك مصنوع من العاج يأخذ جماله بمجامع القلوب ومثالاً فخيماً للقديس فرنسيس كسافاريوس

وفي معرض ﴿الدومنيكان﴾ لرسالة الهند الصينية ﴿هيكل﴾ من الخشب الاسمر ولعله من جوز ذو ثلاثة مراكز لثلاثة تماثيل فيه تخاريم ونقوش فنية نخيفة يحار فيها النظر . وامام هذا الهيكل انسجة حريرية حمراء مطرّزة تطريزاً شائعاً في تلك الاصقاع وادوات خشبية مطعّمة بالصدف الملوّن يختلف كثيراً عما هو معروف في الشام . وفي هذه الغرفة رسوم طوباويين من هاتيك البلاد وقد كتب تحتها : الكهنة الوطنيّون يُكرَمون على الهياكل وعددهم ٢٥ منهم : ١ أنّاميين و ١٥ تنكينياً و ٤ صينيين قُتلوا شهداء ايمانهم وأعلنت الكنيسة تطويب بعضهم في سنة ١٩٠٠ والآخرين في

سنة ١٩٠٩

واذ نصل الى المشى الاخير نشاهد بين معروضات ﴿ تنكيز الوسطى ﴾ عرشاً فخيماً حمل تمثال العذراء في زياحاتها بنقوش وتخاريم مذهبة ومرصعة بالالوان ثم جبالاً واودية مجسمة تتخللها القرى مع كنائسها وهياكل خشبية ملونة ثم آلات للسري ووسائل النقل ، سفناً بحرية ، مستشفيات ، قاعات استقبال صينية ، نباتات مجففة وهي حافظة لبهائها ورونقها

وعند الساعة السادسة مساء يقرع الجرس اعلاناً للزائرين بأن وقت اقفال المعرض قد ازف لانهُ لا يفتح ليلاً فيبدأون يخرجون زرافات ووحداناً . فاذا بلغ الزائر الى الساحة المتوسطة بين جانحي المعرض والمؤدية الى الباب الخارجي يقف مبهوتاً امشهد مؤثر : هناك كوخ حقير فيهِ أمٌ مع طفليها فالامُ ماتت جوعاً وبقي الطفلان حيَّين يتململان على جثتها وهجمت الضباع على الكوخ تبحث عن فريسة لها . . واذا براهبة من راهبات المحبة ولجت الكوخ وحملت الولدين فنجتهما من انياب الوحوش وذهبت بهما الى حيث تجمايهما في حمى من كل خطر ! . .

هذا ما بقي ذكره في الذهن وما يهم الخبر عنهُ فضلاً عما هنالك من المعروضات الدقيقة التي يقتضي الكلام عنها مجلد ضخم فلنكتفِ بما ذُكر

وهكذا ننتهي من زيارتنا لاول معرض من هذا النوع ممجدين الله تعالى على ما اولاه لخدامه المرسلين من الوسائل السهلة للعمل فقاموا الى خدمته عزَّ اسمه مجردين من الاهل والاوطان سعياً وراء الانفس الضالة : اذ لولا الرسالات الكاثوليكية وتجرد المرسلين لكان عدد الكافرين بالحق سبحانه اضعافاً مضاعفة

فلندعُ للرسالات الكاثوليكية بالنجاح وزيادة الانتشار فيُذاع اسمه تعالى بين كل الامم ويُضحي العالم اجمع رعيَّة واحدة لراعٍ واحد !